# مقدمة

الحمدُ لله رَبِّ العالمين، الرَّحمن الرَّحيمِ، الحنان المنان الرءوف الرحيم، الحليم العَفوِّ، أعدلِ العادلين، الذي حرَّم الظلم علىٰ نفسه، وأرحمِ الراحمين، ذو الرحمة الواسعة، التي وسعت كل شيء، والتي سَبَقَتْ غَضَبَه، والتي كتبها علىٰ نفسه سبحانه جَلَّ في عُلاه.

فما أعظمَه مِن ربٍّ جليل، له الكمال المطلق الذي يليق بذاته المقدسة؛ ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾ ﴾ [الشورىٰ: ١١]!

وما أرحمه من إلهٍ حليم كريم، له الأسماء الحسنىٰ والصفاتُ العُلىٰ!

خَلَقَ الخَلْقَ ليرحمهم؛ قال تعالىٰ: ﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦﴾ وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُوا۟ مَيْلًا عَظِيمًا ﴿٢٧﴾ ﴾ [النساء: ٢٦- ٢٨].

ولذلك أرسل الرسل وأنزل الكتب، ليُخرج العِباد من الظلمات إلىٰ النور، وأرسل خاتم النبيين وإمام المرسلين نبيَّه وصَفِيَّه وحبيبه وخليله محمدًا ﷺ - رحمة لجميع العالمين من الإنس والجِنِّ والحيوان؛ رحمةً للمؤمنين، ورحمةً للكافرين، ورحمةً للمنافقين.

ذلكم هو رسول الله ﷺ، أرحم الخَلق بالخَلق؛ أول من تنشق عنه الأرض، أول شافع، وأول مُشفَّع، وأول من يَجوز علىٰ الصراط، وأول من يدخل الجنة، صاحب الحوض المورود، واللواء المعقود، والمقام المحمود، صاحب الغُرَّة والتحجيل، المذكور في التوراة والإنجيل، المؤيَّد بجبريل، البشير النذير، والسراج المنير، خير الخلق في طفولته، وأطهر المُطهرين في شبابه، وأنجب البشرية في كهولته، وأزهد الناس في حياته، وأعدل القضاة في قضائه، وأشجع قائد في جهاده.

اختصَّه ربُّه بكل خلق نبيل؛ وطهَّره من كل دَنَس، وحفظه من كل زلل، وأدبه فأحسن تأديبه، وجعله علىٰ خلق عظيم.

وجمع فيه صفات الجمال والكمال البشري، وتألَّقت روحُه الطاهرة بعظيم الشمائل والخِصال، وكريم الصفات

والأفعال، حتىٰ أبهرت سيرته القريب والبعيد، وتملَّكت هيبَته العدوُّ والصديقُ، وقد صوَّر لنا هذه المشاعرَ شاعرُه حسان بن ثابت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أبلغَ تصوير؛ فقال:

وَأَحْسَنُ مِنْكَ لَمْ تَرَ قَطُّ عَيْنِي

وَأَجْمَلُ مِنْكَ لَمْ تَلِدِ النِّسَاءُ

خُلِقْتَ مُبَرَّأً مِنْ كُلِّ عَيْبٍ

كَأَنَّكَ قَدْ خُلِقْتَ كَمَا تَشَاءُ(١)

فكان من سمات الكمال التي تحلَّىٰ بها ﷺ: «خُلُقُ الرحمة»، فقد وَهَبَه اللهُ قلبًا رحيمًا، يَرِقُّ للضعيف، ويحنُّ علىٰ المسكين، ويعطف علىٰ الخلق أجمعين، حتىٰ صارت الرحمة له سجيَّة؛ صلىٰ الله وسلم وبارك عليه وعلىٰ آله، وأصحابه وأزواجه وأتباعه إلىٰ يوم الدين.

ومع أن ذلك واضح جدًّا لكل ذي عينين، لكنه كما قيل:

---

(١) شرح ديوان حسان بن ثابت الأنصاري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ص ١٠).

قد تنكرُ العينُ ضوءَ الشمسِ منْ رمدٍ

ويُنْكِرُ الفَمُ طَعْمَ المَاءِ منْ سَقَمِ(١)

فَمَنْ أنكر هذه الحقائق ودفعها بعد وصولها إليه بيضاء نقية بحسن عَرْض وجميل طَرْح؛ فإنما ينكث علىٰ نفسه، ولن يضر الله شيئًا، ولن ينال من قَدْر الرَّحمةِ المُهْداة ﷺ قليلًا ولا كثيرًا.

وقد وقع بالثَّلْب في عِرْضه ﷺ مَن لم يعرفوه، وآذوا أتباعه بالتعرض لانتقاصه، مع أنه ﷺ خير مَن وَطِأ الثَّرىٰ، وما جاء إلا لهدايتهم وإنقاذهم، وما أرسل إلا رحمة لهم، وللعالمين أجمعين.

وقد نَافَحَ المسلمون عن عِرض نبيِّهم ﷺ حِيال هذه الهجمة الشرسة التي لا مُبرر لها من دين أو عقل.

وقد استشعر القائمون علىٰ الجمعية العلمية السعودية للسنة وعلومها- ضرورة إيجاد نشاط علميٍّ يتَّصف بالتأصيل الشرعي، والمنطق المقنع، في أهم جوانب

(١) شرح بردة البوصيري، بيت رقم (١٠٥).

سيرته ﷺ، فدَعَت إلىٰ إقامة مؤتمر دولي، موضوعه: «نبي الرحمة محمد ﷺ».

وقد منَّ الله تعالىٰ عليَّ بالمشاركة بهذا البحث، والذي هو تحت عنوان: (**معالم الرحمة في أخلاقه ﷺ**)، محاولةً مني أن أُسهِم في الذَّبِّ عن عِرض نَبيي ﷺ طلبًا لشفاعته، وأن أُحشر تحت لوائه، وفي زُمرته، ولأُبرز فيه للعالَم شيئًا ولو يسيرًا مما كان عليه ﷺ من رحمة، تجلَّت في محاسن أخلاقه، ولدعوة أتباعه لأن يقتربوا من شمائله ﷺ أكثر؛ حتىٰ يَحسُن لهم اتباعه؛ إذ لا سبيل مُوصِّلةٍ إلىٰ الجَنَّة إلا ذاك.

وهذا جهدُ المقل؛ فإن أصبت فمن الله وحده، وإن أخطأت أو قصَّرتُ فمن نفسي ومن الشيطان، وأسأل الله ألا يحرمني من الأجر، إذ اجتهدتُ وسعيتُ في هذا الغرض النبيل.

**وقد قسَّمت- بحول الله وتوفيقه- البحث إلىٰ أربعة مباحث:**

**عقدت المبحث الأول** لبيان تمسكه ﷺ بمكارم الأخلاق ودعوته الخلق إليها، ورأيت لزامًا أن أعرِّف بالخلق، وأن أبين أقسام الأخلاق، وأن أظهر أهمية حسن

الخلق، ثم خلصت لخصائص أخلاقه ﷺ، وحثه علىٰ التمسك بمكارم الأخلاق.

وكان المبحث الثاني لإلقاء الضوء علىٰ وصف رحمته ﷺ، وبيان أقسامها، والآيات التي أشارت إلىٰ معالم الرحمة في أخلاقه ﷺ.

**أمَّا المبحث الثالث** فبيَّنتُ فيه رحمته ﷺ بأمته، ثم تعرَّضت لطرف من رحمته ﷺ بالحيوان، ثم بالكافرين، ثم بالجِنِّ.

**والمبحث الرابع** خَصَّصته لبيان وجوب طاعته والاقتداء به ﷺ وبأخلاقه، وبخاصة رحمته ﷺ، وآثار ذلك علينا في الأولىٰ والآخرة إن فعلنا.

**وأخيرًا:** ختمت البحث بخاتمة وتوصيات أظهرت فيها مدىٰ احتياج العالم إلىٰ الإسلام وتطبيق مبادئه، واستلهام ذلك من أعظم الخلق أجمعين، سيد الأولين والآخرين ﷺ، وأنَّ الأمة لو تمسَّكت ببعض أخلاقه، وعضَّت علىٰ ما دعا إليه من الأخلاق لفتحت العالم، ولدخل الناس في دين الله أفواجًا الآن، كما دخلوا أيامه ﷺ لما رأوا من أخلاقه وزُهده وصِدقه وحُبِّه لهدايتهم، فيَسعد العالم بعد شقائه،

ويهتدي بعد ضلاله، ويفوز بالسعادتين، وأن المسلمين إن لم يفعلوا فهم حَجر عثرة في دخول الناس في الإسلام، وسيسألهم الله تعالىٰ عن ذلك.

أسألُ الله تعالىٰ أن يجعل هذا البحث خالصًا لوجهه الكريم، وأن يكتب له القبول، وأن يُثقِّل به موازيني، وأن يحشرني به مع سيدي ونبيي وحبيبي سيد الخلق الرءوف الرحيم صلىٰ الله عليه وآله وسلم- في الفردوس الأعلىٰ في جنات النعيم، وأن يغفر لوالديَّ، وأن يرفع درجاتهما، وأن يجمعني بهما في دار الحبور مع سيدنا الرسول صلىٰ الله عليه وآله وسلم، وإخواني ومشايخي، وزوجي وأولادي، وجميع المسلمين؛ إنه علىٰ ما يشاء قدير.

**وكتب الفقير إلى عفو ربِّه الرحمن**

**أبو عبد الرحمن**

عراقي حامد

(الباحث في علوم الشريعة الإسلامية)

بَرَكة الحاج- المرج- القاهرة - مصر

هاتف رقم/ ٠١١٢٦٤٣٦١٤٧

البريد الإليكتروني/ erakyhamed٥٥@hotmail.com